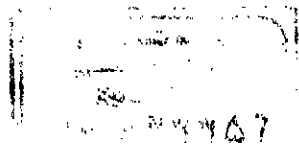


من أسرار التعبير القرآني

في سورة الإسراء - الآيات (٢٢ - ٣٩)

أدبي .. اجتماعي .. ديني

أ.د. محمود إسماعيل عمار



جميع الحقوق محفوظة، لا يجوز نشر أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي طريق، سواء أكانت إلكترونية، أم ميكانيكية، أم بالتصوير، أم بالتسجيل، أم بخلاف ذلك دون الحصول على إذن المؤلف و الناشر الخطي وبخلاف ذلك يتعرض الفاعل للملاحقة القانونية.

الطبعة الأولى

٢٠١٣ - ٢٠١٤ م

الإهداء

إلى كل ابن: يقدر قيمة الحياة، ويدرك رسالتها...
وكل أب: يتقن صنع الحياة، ويسهم في بنائها...
إلى والدي ووالدتي، وأولادي.....

مع التحية

المملكة الأردنية الهاشمية رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠١٢/١١/٤١٢٠)

٢٢١.٦٨

عمار، محمود إسماعيل

من أسرار التعبير القرآني في سورة الإسراء الآيات ٢٢-٣٩ أدبي ..
اجتماعي .. ديني / محمود إسماعيل عمار - عمان: دار مجدلاوي للنشر
والتوزيع، ٢٠١٢
() ص.
ر.ا.: ((٢٠١٢/١١/٤١٢٠))

الواصفات: / الآيات القرآنية // القرآن الكريم /

* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN ٩٧٨ - ٩٩٥٧ - ٠٢ - ٤٩٩ - ٤ (ردمك)

Dar Majdalawi Pub.& Dis.

Telefax: 5349497 - 5349499

P.O.Box: 1758 Code 11941

Amman- Jordan



دار مجدلاوي للنشر والتوزيع

تيلكس: ٥٣٤٩٤٩٧ - ٥٣٤٩٤٩٩

ص. ب. ١٧٥٨ رقم ١١٩٤١

عمان - الأردن

www.majdalawibooks.com

E-mail: customer@majdalawibooks.com

الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الجهة نظر الدار الناشر .

واحد نيت منابع
بمؤسسه علوم و فرهنگ اسلام
شماره: ٢٥٣٣٤٩
١٤١١ / ١١ / ١٤١١

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٩	المقدمة.....
٢١	الفصل الأول : الآيات ٢٢-٢٥.....
٢٣	اللغة.....
٢٥	الإعراب.....
٢٧	البلاغة وأسرار التعبير.....
٧١	الفصل الثاني : الآيات ٢٦-٣٣.....
٧٣	اللغة.....
٧٧	الإعراب.....
٨١	البلاغة وأسرار التعبير.....
١١١	الفصل الثالث : الآيات ٣٤-٣٩.....
١١٣	اللغة.....
١١٨	الإعراب.....
١٢١	البلاغة وأسرار التعبير.....
١٥٣	الخاتمة.....
١٥٥	المصادر والمراجع.....

مُقَدِّمَةٌ

إذا كان الشعر - والأدب بعامه - يخاطب فينا العاطفة والوجدان ، فإن من أسرار التعبير القرآني أنه يخاطب العقل والعاطفة معاً ، ويفوص في الأعماق والذاكرة ، ويستقطب الذهن والوجدان ، ويجلب الحس والشعور في وقت واحد ، ويجمع الزمن : الماضي والحاضر في قالب معجز ، ويتناول الحقائق في بيان مشرق .. يدب في خلايا النفس ، وينداح في مسارب الكينونة ، وفي ظله تستطيل الكلمة وتستعرض ، فيئها دائم وظلها ، فتصبح ذات أبعاد وظلال وأعماق .. تتلبس دلالات تظل مقترنة بها ، يخلع عليها الجلال بهجته وبهاءه ، أينما ارتحلت ، وحيثما حلت.

ولهذا كان القرآن في القمة من البلاغة التي لا تبلغ الهمم شأوها ، وتتقطع دونها الرقاب ، وتتقاصر العزائم ، وتتخلف السلائق والقدرات ، وقد وصفه رب العزة فقال : ﴿ قُلْ لِيِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء : 188)

وفضلاً عن أسرار التعبير الدقيقة في هذه الآية ، فإنها تقرر أن القرآن الكريم فوق طاقات البشر - فرادى ومجمعيين - فلو اجتمعت كل المواهب والفرائز ، واستتفرنا كل الأدياء والشعراء ، والفصحاء والبلغاء والمبدعين ، وكل إمكانات الإبداع في الأمة ، واستعنا بطاقات الجن من بعد ذلك ، وهؤلاء يعاون بعضهم بعضاً ، في مجامع ولجان وهيئات .. ما استطاعوا أن يبدعوا هذا الإبداع ، ولا أن يصنعوا مثل هذا القرآن ، ولا أن يفروا فريه ، والتاريخ ناطق بهذه الحقيقة .

وهذا تحد سافر.. لم يستطع العرب أن يقفوا في وجهه ، وهم البلغاء الفصحاء ، وأصحاب الذلاقة واللسن ، وأرباب الإعراب والبيان ، كم هدروا بالشعر ، وفاخروا بالمنطق ، وقعموا بالكلام ، فآلجموا وصمتوا ، ولذلك يقول لهم القرآن الكريم : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ لَمِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ اللَّهِ وَقُودُهَا النَّاسُ

"وَلَنْ تَفْعَلُوا": هكذا يصل التعبير إلى حقيقة الموقف، قاطعاً جازماً، يستفز قدرتهم، ويستثير نخوتهم.. يضعهم أمامها كتلة واحدة صارمة، يريد "إن لم تستطيعوا أن تأتوا بسورة من مثله، ولن تستطيعوا ذلك، فأتركوا العناد وانقادوا لهذا النبي، وآمنوا بهذا القرآن، وقد كنى عن ذلك كله بقوله: "فإن لم تفعلوا، ولن تفعلوا" وما فيهما من روعة الإيجاز ونهايته"⁽¹⁾

وقد أدركوا منذ البداية أن لا قبل لهم بهذا التحدي، وأن هذا الكلام الذي يتكون من جروف لغتهم (ق.. طسم.. ألمر.. كهيعص)، ومن ألفاظهم، ومقاطع كلامهم، ويطبق نحوهم وصرفهم، ويتداول مفرداتهم وتعبيراتهم: هو فوق طاقتهم، وأنه ليس في مقدورهم معارضته، وشعروا بتأثير كالسحر، حتى وصفوه فعلاً بالسحر ووصفوه بالشعر، ووصفوا الرسول بالساحر، وبالشاعر، لما أدركوا من قوة تأثيره، وشدة جذبه.

وهم الأعراب الأقحاح، ذوو البصر بمواقع الكلام، وبأساليب الفصاحة، وينظم الشعر، حتى كانوا يفاخرون بطلاقة اللسان، وكثرة الريق، وتدقق اللغة، وكبر الأصدقاء مما يعين على فصاحة التعبير، وقوة البلاغة، ووضوح البيان.. وكانوا إذا استجادوا قصيدة كتبوها بماء الذهب، وعلقوها على أستار الكعبة على ما تقول الروايات، ومع ذلك لم يؤثر عنهم محاولة واحدة لمعارضة القرآن الكريم وكان أحدهم إذا سمع القرآن انجذب إليه كما تتجذب برادة الحديد إلى المغناطيس، لا يملك معه مقاومة، ولا رفضاً، ويحس هيمنة داخلية في نفسه، لا يقدر على ردها، أو دفعها، وقد نقل لنا التاريخ العديد من الأخبار والحوادث، التي تدل على هذا التأثير العجيب لبلاغة القرآن الكريم في نفوس العرب وقلوبهم، حتى انصاعوا لأمر الدعوة.

وكان الرسول ﷺ يدرك هذه الحقيقة تماماً، ويعي مقدار تأثير السامع بالقرآن الكريم، فكان سلاح دعوته، ودليل نبوته حين يعرض نفسه على القبائل، أو حين يستقبل الوفود ويغشى الأسواق، وكان من أول ما يبدأ به تلاوة القرآن الكريم،

(1) د. فضل حسن عباس: البلاغة فتونها وأفنانها ص (261) دار الفرقان للنشر عمان 1407هـ.

فتستجيب له القلوب وتتصاح له الأفئدة، يفعل ذلك في المواسم والمناسبات، "فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.. ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا"⁽¹⁾.

والنماذج على ذلك أكثر من أن تحصى، وأورد ما يأتي:

- قدم سويد بن صامت مكة حاجاً أو معتمراً، وكان قومه يسمونه الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه، فتصدى له الرسول ﷺ حين سمع به، ودعاه إلى الله، وإلى الإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي؟ فقال له الرسول ﷺ: وما الذي معك؟ قال: مجلة لقمان - يعني حكمته - فقال له الرسول ﷺ: اعرضها عليّ، فعرضها، فقال له: إن هذا لكلام حسن، والذي معي أفضل منه، قرآن أنزله الله عليّ، هو هدى ونور، فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه وقال: إن هذا لقول حسن، ثم انصرف: فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج، قال رجال من قومه: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم⁽²⁾.

- وجاء قوم من بني عبد الأشهل، منهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، فسمع بهم الرسول ﷺ فدعاهم إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس: هذا - والله - خير مما جئتم له، لكن قومه لم يستجيبوا له، فلما هلك إياس كان: يهمل ويكبر، ويحمد الله، ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون: أنه قد مات مسلماً، لقد استشعر الإسلام في ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع، كما يقول ابن هشام⁽³⁾.

- وفي خبر طويل أورد ابن هشام⁽⁴⁾: أن عتبة بن ربيعة قال يوماً، وهو جالس في

(1) سيرة ابن هشام 428/1 تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، مؤسسة علوم القرآن دت.

(2) سيرة ابن هشام 89/1

(3) السابق: 428/1

(4) السابق: 293/1

نادي قريش ، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده ، يا معشر قريش : ألا أقوم إلى محمد فأكلمه ، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيها شاء ، ويكف عنا ؟ قالوا : بلى ، قم إليه فكلمه ، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ، فعرض عليه ما عرض من : الإغراءات والمطالب والمناصب والأموال والشرف والجاه والملك والطب والعلاج .. ليرجع عن دعوته ، حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله ﷺ يستمع منه ، قال ﷺ : أفرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاسمع مني . قال : أفعل ، فقال : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، حَمِّ ، تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، كِتَابٍ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ، فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، وَقَالُوا : قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ .. لفصلت: 1- 38 ومضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة ، أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره ، معتمداً عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم ، قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أئى سمعت قولاً ، والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش : أطيعوني ، واجعلوها بي ، واخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله : ليكون لقوله الذي سمعت منه ، نبأ عظيم .. إلخ .

• وفي السيرة أن أبا سفيان ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق .. خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ ، وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلورآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة ، أخذ كل رجل منهم

مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد : ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا⁽¹⁾ ، إلى آخر الخبر الذي يدل على قوة تأثير القرآن في نفوسهم .

• وفي خبر إسلام عمر بن الخطاب ، أن أخته فاطمة أسلمت ، وأسلم زوجها سعيد بن زيد ، وأخفيا عنه إسلامهما ، وكان خباب بن الأرت يختلف إليهما ليقرئهما القرآن ، فخرج عمر يوماً ، متوشحاً سيفه ، يريد الرسول ﷺ وأصحابه ، وقد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، فلقيه نعيم بن عبد الله ، فسأله عن وجهته ، فقال عمر : أريد محمداً هذا الصابئ ، الذي فرق أمر قريش .. فقال نعيم : أفلا ترجع إلى أهل بيتك ، فتقيم أمرهم ؟ وأخبره بإسلام أخته وزوجها ، فرجع عمر عامداً إليهما ، فلما سمعوا حس عمر ، اختبأ خباب في مخدع ، أو في بعض البيت ، وأخفت فاطمة الصحيفة التي يقرؤون منها ، فبطش بختته ، وشج أخته ، فأعلنا له إسلامهما ، وعندئذ طلب الصحيفة التي كانوا يقرؤون منها ، فلما طمعوا في إسلامه ، طلبوا منه أن يغتسل ، ثم تناولها ، فلما قرأ منها صدراً ، وكان فيها " طه ، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ، إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى ، تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَا ، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى .. طه : 1- 15 ، قال : ما أحسن هذا الكلام ، وأكرمه فلما سمع ذلك خباب خرج من موضعه .. إلخ الخبر⁽²⁾ .

• وفي خبر إسلام ثمامة بن أثال الحنفي أنه قدم من اليمامة معتمراً ، فظفرت به خيل الصحابة بنجد ، وأتوا به إلى المدينة أسيراً ، وريطوه إلى سارية من سواري المسجد ، فلما رآه الرسول وعرفه أمر أصحابه أن يحسنوا إيساره ، وأن يقدموا له الماء والطعام ، حتى أمضى ثلاثة أيام ، وهو يشاهد الصلاة - جهرية وسرية - يؤمها النبي ﷺ في خشوع ووقار ، ويسمع تلاوة القرآن ، ثم أمر به الرسول ﷺ فأطلق ، فلما بلغ المصانع خارج المدينة ، أناخ راحلته ، وغسل ثيابه ، واغتسل ، ثم

(1) السيرة 1/ 315

(2) انظر سيرة ابن هشام 1/ 342- 350

عاد إلى الرسول ﷺ فأسلم ، وشهد شهادة الحق (1).

• وكان الرسول ﷺ قد أرسل مصعب بن عمير مع وفد العقبة الأولى إلى المدينة ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، وكان منزله على أسعد بن زرار ، فذهب ذات يوم إلى دار بني عبد الأشهل لهذه الغاية ، وأسيد بن حضير وسعد بن معاذ سيذا هذه الدار ، فلما علما بهما جاء أسيد ، فوقف عليهما متشتماً ، فقال له مصعب : أوتجلس فتسمع ؟ فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ، قال أسيد : أنصفت وجلس ، فكلمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فتهلل وجهه وأشرق وتسهل ، ثم قال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله ! ودخل الإسلام ، ثم عاد إلى سعد بن معاذ ، واحتال ليذهب إليهما ، فوقف عليهما متشتماً أيضاً ، ودار بينه وبين مصعب من الحديث مثل ما دار مع أسيد ، فانشرح صدر سعد بعد سماعه ، وأسلم كصاحبه ، فما أمسى في بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة (2).

وهكذا فعل القرآن في نفوس العرب (3) ، وقد تكرر ذلك في أخبار كثير من الصحابة الذين كان للقرآن الكريم الأثر في جذبهم للدين ، وفتح نفوسهم للدعوة حتى هادوا إلى ترانيمه العذبة ، واستأخت إبلهم إلى ظله الظليل ، وارتوت نفوسهم من معينه النмир ، وليس عجيباً بعد ذلك أن يأمر القرآن الكريم أتباعه أن يجيروا المشركين ، وأن يسموهم كلام الله ، قبل إصالحهم إلى مأنهم ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْنِ أَيْمَهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة : 16).

وكان حرص طواغيت قريش أن يحولوا بين العرب وسماع القرآن الكريم حتى لا يقع في قلوبهم ونفوسهم ، فكانوا يعترضون القبائل ، ويرصدون مداخل مكة ، ويتحينون موسم الحج ، وإقبال وفود القبائل ، فيحذرونهم من الاستماع إلى القرآن

الكريم ، والإصغاء إلى ما جاء به النبي ﷺ ، وفي السيرة : اجتمع نفر من قريش إلى الوليد بن المغيرة ، وقد حضر الموسم ، فقال لهم يا معشر قريش : إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم إليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا ، فذهبوا في وصف الرسول والقرآن كل مذهب ، ثم قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً مما تقولون إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا : ساحر ، جاء بقول هو سحر ... فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا له أمره (1).

وأنى لهم ذلك ، قال ابن إسحاق (2) " وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ ، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها . فالشمس لا تحجب بالأكف ، والنهار لا يحتاج إلى دليل ، والنفوس التواقفة تشق طريقها بين الصعاب والجبال .. هذا الطفيل بن عمرو الدوسي - وكان رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً - يقدم إلى مكة ، فيمشي إليه رجال من قريش ، يحذرونه من النبي ﷺ ومن دعوته ، وقالوا له : إنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمه ، ولا تسمع من شياً ، قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ، ولا أكلمه .. فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، فأبى الله إلا أن يسمعي بعض قوله ، فسمعت كلاماً حسناً ، واتبعته إلى بيته ، فعرض علي الإسلام ، وتلا علي القرآن ، فلا ، والله ، ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق (3) ..

أما النفوس الضعيفة ، والشهوات المتأصلة ، والعادات المستبدة ، فلها شأن آخر ، كما يروى عن أعشى بني قيس عندما خرج يريد الإسلام ، فاعترضه بعض المشركين من قريش ، وقالوا له : يا أبا بصير ، إنه يحرم الخمر ، فقال : أما هذه فوالله إن في النفس منها لعلالات ، ولكني منصرف ، فأتروني منها عامي هذا ، ثم آتية فأسلم ، فانصرف فمات في عامه ذلك ، ولو كان رجلاً شريفاً عاقلاً لبيباً كالطفيل

(1) ابن عبد البر ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب على هامش الإصابة لابن حجر 204/1 مطبعة

السعادة بمصر 1328هـ

(2) سيرة ابن هشام 434/1 - 438 ملخصاً

(3) انظر سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ص: (11) وما بعدها ، دار الشروق 1412/12

(1) سيرة ابن هشام 270/1

(2) السابق 272 / 1

(3) السابق 382/1 - 383

لذنا من الضياء ، واقترب من النبع ، وسمع القرآن ، واستكشف الحقيقة ، كما فعل صاحبه ، ولكان من أمره ما لم يكن ، قال تعالى : ﴿ وَكُوِّجَعَلْتَهُ قُرْآنًا عَجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا نُفِصَلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأَنْجِيئُ وَعَرِيفٌ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَبُشْرًا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَأَذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الفصلت : 44) ، وقال جل شأنه : ﴿ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نُّهْدَى بِهِ مَن نَّشَاءُ مِن عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الشورى : 152) .

والماتمل في الآيات " 22 - 39 " من سورة الإسراء .. يجد أنها كتلة متجانسة من التوجيهات ، في العقيدة والسلوك الفردي والجماعي ، ولهذا كان افتتاحها واختتامها متشابهاً إلى حد المطابقة ، مما يدل على أن ما بين البدء والختام تتنظمه وحدة الغاية والهدف ، في بناء الفرد والمجتمع ، محاطين بسور العقيدة وقواعد الإيمان .. وقد لاحظ بعض المفسرين وحدة الإطار التي تسير عليه هذه الآيات ، وأدرك أنها تمثل رزمة أو طاقة يانعة من الوصايا والآداب ، تلامس الواقع ، وتتوغل النفوس .. تنوعت فيها أساليب الخطاب ، بين الأفراد والجمع ، وبين الحضور والغيبية ، وبين الأمر والنهي .. وقد أفاد الألوسي في تعقيبه على جملة النص ما يدل على هذا التصور العضوي للسياق⁽¹⁾ ، ونقل الزمخشري عن ابن عباس : " أن هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى ، قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً ﴾ (الأعراف : 145) وقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها "⁽²⁾

وسنعيش هذه النصوص ، ونحاول أن نفهم بعض أبعادها الدلالية والتعبيرية ، في ظل السياق اللغوي والتشكيل الفني ، ونقترب من أجوائها الروحية والتصويرية .. وقد قسمتها إلى ثلاثة مقاطع تناولت في كل مقطع :

- شرح المفردات .

- ما أشكل من الإعراب .

(1) تفسيره ، روح المعاني : 77/15 وما بعدها ، دار الفكر ، بيروت 1403هـ .

(2) تفسيره ، الكشاف : 450/2 ، دار الفكر ، بيروت 1403هـ .

- البلاغة وأسرار التعبير .

ولا ازمع أن أحداً قادر على أن يكشف كل ما يحتويه النص من ظلال وأبعاد فالنصوص - عادة - تتأبى مرة ، وتظهر أخرى ، وتتمنع على قارئ وتدنو من آخر ، فكيف بنص معجز ، والله المثل الأعلى . ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤْخِزْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران : 8)

والله الموفق

أ.د. محمود إسماعيل عمار
الرياض في 15/6/1433هـ